بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ:18/04/2008 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعال**

((سلسة قوانين القرآن))

﴿ ooوَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾[طه]

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعة الله، فإنه والله ليس في الآخرة إلا الحسنات والسيئات وهناك ينجو من قدم بضاعة التقوى وهناك تخطئه النجاة من كان مصراً على العصيان.

وإن ربنا جل جلاله مراقب لأعمالنا وقد وعد من أطاعه منا الجنة وأوعد من عصاه منا النار.

إنه من ﴿ ooيَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾[الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير، يقول الله تعالى في محكم التنزيل:

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137)﴾[آل عمران]

وقال ربنا: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43)﴾[فاطر]

نحن في الخطبة الرابعة عشرة من سلسلة ((السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن))...

في القرآن قوانين وسنن، وقوانين الله غلابة فلا تعارضوها واستفيدوا منها، إذا قرأنا القرآن الكريم باحثين عن السنن لنعمل بأسبابها نلنا نتائجها، وإذا ابتعدنا عن سنن الله تعالى في هذه الأرض أخطأنا أحياناً وأصبنا حيناً، لهذا كانت هذه السلسلة من الخطب قوانين القرآن والسنن الإلهية في القرآن....

تحدثنا لماذا هذه السلسلة!!؟ وتكلمنا عن السنن الإلهية في التغيير، وفي النصر، وفي الابتلاء، وفي الذنوب والسيئات، وفي الإيمان والعمل الصالح، وفي الظلم والظالمين، وفي تحصيل الألفة والمحبة، وفي البقاء للأنفع، وفي ﴿الصُّلْحُ خَيْرٌ (128)﴾ [النساء]، وفي ﴿لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ (43)﴾[فاطر]

وعنوان خطبة اليوم: **العاقبة للتقوى**....

أيها الإخوة الأمور بخواتيمها، ومن ضحك أخيراً ضحك كثيراً، والآخرة هي الفاخرة، والسنة الإلهية تخبر أن: ﴿الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)﴾[طه].

قد يظهر الباطل اليوم، وقد يعلو الظالم اليوم، وقد يرتفع الفاسق اليوم لكن السنة الإلهية تقول: ﴿ ooالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾[طه]..

قد لا يسرك أمر الحق، وقد تؤذى بسبب اتباعك الصواب، وقد يخون الأمين وقد يؤتمن الخائن لكن السنة الإلهية تقول: ﴿ ooالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾[طه].

لعل امرئ ينجو بالكذب، وربما نفعه الغش، ويحتمل أن يسره الوقوع في أعراض الناس، لكن السنة الإلهية تقول: ﴿ ooالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾[طه].

الأذكياء هم الذين يضعون خططاً سنوية، والأكثر ذكاء هم الذين يضعون خططاً عشرية أو خمسينية، لكن أذكى البشر على الإطلاق هم الذين يخططون لعاقبتهم في الدنيا والآخرة ويقول ﴿ ooالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾[طه].

وردت هذه السنة الإلهية وهذا القانون الرباني في القرآن الكريم بهذا اللفظ في أربع آيات.

قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) ﴾

وقال في سورة هود بعد ذكر قصة سيدنا نوح وما قال لقومه وما قالوا له وما فعل معهم وما فعلوا معه: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49) ﴾

وقال في سورة طه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾

وقال في سورة القصص: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) ﴾

و وردت كلمة التقوى واشتقاقاتها في القرآن الكريم فيما يقرب من مائتين وثمانية وخمسين موضعاً، تخيلوا أن القرآن الكريم المؤلف من ستمائة صحيفة تجد فيه مادة في القريب من ثلاثمائة موضع يعني أن كل صحيفتين يذكرك ربك فيها بهذه المادة –التقوى–.

وأصل كلمة التقوى في اللغة وقى مأخوذة من الوقاية والوقاية لا تكون إلا من خطر..

في الدنيا مخاطر كثيرة ومنزلقات خطيرة وعقبات كأداء والنجاة منها بتقوى الله تعالى..

في الدنيا طرق ملتوية وتيارات منحرفة وأفكار زائغة والنجاة منها بتقوى الله تعالى...

في الحياة فتن مغرية وشهوات مردية وأمراض أخلاقية معدية والنجاة منها بتقوى الله تعالى...

عرف العلماء التقوى فقالوا: هي أن يراك الله حيث أمرك وأن يفتقدك حيث نهاك...

وقالوا: هي أن تطيع الله فلا تعصيه وأن تذكره فلا تنساه وأن تشكره فلا تكفره...

وقالوا: هي التحرز بطاعة الله عن عقوبته.. وقالوا: هي ترك الذنوب وفعل الطاعات...

وقالوا: هي أن تتقي الشرك بالله ثم تتقي المعاصي والسيئات ثم تتقي الشبهات...

وبالإجمال، أحب أن تحفظوا هذا التعريف: **هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه...**

فإذا فعلت ما أمر الله به وتركت ما نهى الله عنه فأنت من المتقين، وعند ذلك أبشر فإن العاقبة لك لأن ﴿ ٥٥الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾[طه] و﴿ . .الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) ﴾[القصص]...

شاب جامعي جاوز العشرين من عمره من أسرة ثرية، عرضت عليه طالبة في الكلية التي يدرس فيها، عرضت عليه نفسها بالحرام، وكررت المحاولة مراراً ومع ميله الشديد وحاجته للزواج ومع جمالها وإغرائها امتنع عما أرادت...

لقد نظر قبل ذهابه نحوها في أمر الله ونهيه فرأى أن الله تعالى يأمره بالعفة وينهاه عن الزنا وهذه هي التقوى.- قبل أن تمضي في شأن ترغبه أو تريده انظر أمر الله في المسألة وامتثل للأمر والنهي-

فامتنع عن الاقتراب منها. فطلبت إليه بعدها أن يتزوجها بالسر قالت: أنت لا تريد الحرام نتزوج بالسر فلا تخبر أهلك ولا أخبر أهلي، قال: من سيعقد لنا!؟ قالت: شيخ...قال: من الشيخ!!؟ قالت أن آتيك به..قال: والشهود!!؟ قالت: من عندي واحد ومن عندك واحد...

أيضا امتنع وهذا الصواب، وبعد رفضه لطلبها راحت تشتمه وتسخر منه وتهزأ به ثم مضت لشأنها و مضى لشأنه، وبعد حين تغيبت هذه الطالبة عن الجامعة لفترة طويلة وعلم هذا الشاب أن سبب تغيبها ظهور حمل عندها، مع أنها غير متزوجة!!!

وهذا الأمر دعا أهلها إلى عدم إخراجها من المنزل، لقد حمد الله كثيراً لأن تقوى الله وقته من الوقوع في هذه الفتاة التي اتخذت الرذيلة عادة لها...

التقوى هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه و﴿ ٥٥الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾[طه]...

شاب دمشقي من أسرة متوسطة الحال لكنه محافظ على التزامه بالشرع عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً أتيح له عقد عمل في بلد نفطي فعمل مندوب مبيعات في إحدى الشركات، أخبرني أن طبيعة

عمله كانت تسمح له بطريقة ما بالتلاعب بالسعر أو بإخفاء بعض المبالغ المالية عن الشركة لكنه نظر في أمر الله ونهيه وهذه هي التقوى.

إذا مضيت نحو أمر انظر أولاً ماذا يأمر الله؟ ماذا ينهى الله؟...افعل الأمر واترك النهي وهذه هي التقوى...

وجد أن الله يأمره أن يؤدي الأمانات إلى أهلها ففعل..ومع إغراء المال ومع حاجته الكثيرة لهذا المال ما أدخل في جيبه مالاً حراماً...

ولأن التقوى أقوى ولأن ﴿ . .الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) ﴾[القصص] ولأنك مهما أخفيت سريرة فسيلبسك الله رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر نمى خبر هذا العامل إلى هذه الشركة الذي كان بطور فتح فرع جديد للشركة في مدينة أخرى فاستدعاه ليعرض عليه إدارة الفرع الجديد وقدم له ورقة لتحديد مرتبه موقعة من قبل المدير على راتب يختاره هذا الشاب بنفسه ويحدده بذاته، ﴿ ٥٥الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾[طه]...

ربما يضرك اتباع الحق اليوم لكنه سيسرك غداً، ربما تؤذى إذا مشيت مع الحق اليوم لكنك ستفوز غداً ومن ضحك أخيراً ضحك كثيراً...

التقوى هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه...

أخ كريم يحضر معنا أنشأ شركة تجارية متخصصة بالاستيراد والتوزيع، في عام 2000 أرسل لي رسالة مطولة يشرح فيها أمر شركته والصعوبات التي واجهته، ذكر فيها أن بداية العمل كانت صعبة جداً على مستوى توفر الموظفين الأكفاء وعلى مستوى المخالفات الجمركية والتموينية وحوادث سيارات الشركة ورد بعض الطلبيات بسبب مخالفتها للمواصفات...

وتتالت الصعوبات لسنوات، نظر هذا الأخ في أمر الله ونهيه في هذه الشركة يا ترى ما الذي أمر الله به ونحن لا نعمله في هذه الشركة؟ وما الذي نهى الله عنه ونحن نرتكبه في هذه الشركة؟.

لعلنا نخطئ مع الله فيعاقبنا بهذه الطريقة فوجد مما وجد، أن حساب الزكاة غير مضبوط بالشكل الصحيح فقرر البدأ بالحساب الدقيق للزكاة وبإخراج هذا المبلغ...

كان ذلك في عام 2003 ولاحظ بعدها كما يقول: تحسناً في حجم المخزون والسيولة النقدية وانخفاضاً في حوادث السير وارتفاع سوية المندوبين والموظفين فقرر بعدها إضافة صدقات إضافية يدفعها في سبيل الله فاضلة عن الزكاة..

كتب لي يقول: إن نتائج الأرباح عنده في عام 2006 نمت عن 2005 بنسبة مائة بالمائة فضلاً عن انعدام الحوادث في سيارات الشركة وغيرها من العواقب الحميدة...

إن القانون الإلهي يقول: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾ [طه]و ﴿ .الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(83 ﴾ [القصص]

يا أيها الإخوة: إني نظرت في القرآن الكريم إلى فوائد التقوى، إلى فوائد امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه فوجدت منها:

أن الله تعالى يبارك للمتقين في أرزاقهم بل يبارك لهم في أرضهم و سمائهم:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) ﴾

و وجدت أن الله تعالى ينجيهم من المآزق والضيق: ﴿ ooo وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُooo ﴾ [الطلاق]

ووجدت فيها تيسير الأمور: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ﴾[الطلاق]

و وجدت فيها محبة الله تعالى للمتقين:﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76) ﴾[آل عمران]

و وجدت فيها أن الله تعالى يكون معهم حافظا وناصراً ومؤيداً وأميناً:﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194) ﴾[البقرة]

و وجدت فيها أنه يجزيهم الجنة:﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55) ﴾[القمر]

ولأن التقوى يا أيها الإخوة ليست شيئاً سهلاً، فليس من السهل أن تلتزم أوامر الله ولا أن تجتنب نواهيه لكن أرأيتم في هذه الحياة شيئاً سهلاً!!؟ فالحياة مبنية على الصعوبات لأن التقوى ليست شيئاً سهلاً ولا أمراً هيناً ولأن فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه ليس أمراً سائغاً للنفس، وجدت الله تعالى يقرن التقوى في القرآن الكريم بالصبر في مواطن عديدة:

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90) ﴾[يوسف]

﴿ و ان تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186) ﴾[آل عمران]

﴿ ooوَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًاooooo(120) ﴾ [آل عمران]

كان عمر بن عبد العزيز يقول لأحد أصحابه عمر بن مجاهد:

إذا رأيتني ضللت الطريق فخذ بمجامع ثيابي وهزني هزاً عنيفاً وقل لي: اتق الله يا عمر فإنك ستموت.

وسئل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن التقوى، فقال للسائل: هل خضت مخاضة طين!؟ قال نعم.. قال فماذا فعلت!!؟ قال: شمرت واجتهدت -اجتهدت أن لا يصيبني الطين والكدر-...

قال: هذه هي التقوى، أن تشمر وتجتهد أن لا يصيبك الحرام، لا يصيبك الوحل، لا يصيبك الطين الذي يلوث قلبك وعلاقتك مع الله ويلوث دنياك وآخرتك...

الآن في ختام هذه الخطبة، كيف تصبح من المتقين!!؟

لاشك أننا جميعاً نحب التقوى ونحب أن نمتثل ما أمر الله به، ونتضايق إذا خالفنا أمره، ولاشك أن المؤمن لا يحب أن يخالف أمر ربه، فكيف تصبح من المتقين لتكون العاقبة لك ولتنال الفوائد الكبيرة للتقوى!!؟

لكي تكون من المتقين عليك بأمور ثلاثة:

1- صاحب الأتقياء ودع الفاسقين لأن الصاحب يعدي، كملة السر في صلاح أمورك كلها أو في فساد أمور من فسد الصاحب، لم يصلح إنسان إلا بالصحبة وأشرف لقب في الإسلام بعد لقب النبي لقب الصاحب...

لذلك أنتم تعلمون أن سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه نقول له صحابي وعمر صحابي وعثمان صحابي، لماذا نحن لا نقول البروفيسور أبو بكر الصديق!!!؟ لماذا لا نقول الجنرال عمر بن الخطاب!!؟ لماذا لا نقول أغنى الأغنياء عثمان بن عفان!!؟ كل هذه الألقاب لا تساوي شيئا من لقب الصحبة.

ولو قلت لأبي بكر: أتحب أن ألقبك ماريشال أو جنرال أو رئيساً أو وزيراً أو سفيراً أو أستاذاً جامعياً؟ لقال: أنت مسامح بكل هذا قل لي: يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم...

فالصحبة أشرف لقب في الإسلام بعد لقب النبوة...وكلمة السر في صلاحك أو في فساد من فسد الصاحب...

إذا أردت أن تكون تقياً فصاحب الأتقياء...

2- ابحث لنفسك ولأولادك عن شيخ يعلمك أوامر الله ونواهي الله فكيف تجتنب النواهي وأنت لا تعلم أنها منهيات وكيف تفعل الأوامر وأنت لا تعلم أنها مأمورات...ثم هو يربي فيك مادة التقوى ويجعلها فيك ملكة....

3- وأخيراً اسأل الله تعالى أن يرزقك التقوى.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع فيقول:

((**0اللَّهمَّ آتِ نَفسي تقْوَاها ، وزَكِّها أَنت خَيرُ مَنْ زكَّاهَا ، أَنتَ وَلِيُّها ومولاها**0)) [مسلم]

الصاحب والمعلم وسؤال الله تعالى أن يرزقك التقوى...

تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر!!؟
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم وقد أدخلتهم أجسادهم ظلمة القبر
وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أقدارهم في ليلة القدر

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله....